هذان مفهومان اجتماعيان، مستمدان من قواعد الإسلام، بنص القرآن عليها، فالجزاء من جنس العمل، في حالة الظلم، وقد جاء لفظه في الآيات من جنس العمل نفسه، فالمستهزئ جزاؤه مكر، والعدوان جزاؤه العدوان، وجزاء سيئة سيئة مثلها، فانسحب المفهوم الاجتماعي الديني لعدالة الجزاء، على الاستعمال اللغوي، من حيث هو اختيار بدءاً، ثم من حيث هو تناول ومعالجة لدلالة اللفظ حين تناولته عقول البشر.

وهكذا نستطيع أن نتأكد، أننا لن نجد لفظ جزاء الخير أو بالأحرى ثوابه، لن نجده أبداً بلفظ اسم هذا العمل الخير الذي استحق الثواب، لأن الثواب في الإسلام ليس من جنس العمل، بل أضعاف مضاعفة (والله يضاعف لمن يشاء)[1] أما لفظ جزاء الشر، فهو من جنسه، وليس دائمًا ـ بحسب المفهوم الإسلامي له ـ كذلك، فإن شاء غفر وإن شاء عذَّب.

وهذا تفسير تماثل اللفظ، مع عدم مغايرة الدلالة بأكثر من أن تضاف إليها صفة العدالة واسترداد الحق.

وهذا اتساعٌ في النطاق الدلالي للفظ المجازى به، ليس اتساعًا معجميا (تمكن إضافته لمعاني اللفظ في المعجم) بل اتساعًا استعماليًا فكأنه يمكننا استنباط قاعدة في الاستعمال اللغوي مستمدة من قاعدة اجتماعية دينية، فالدينية أن الجزاء من جنس العمل، واللغوية أن لفظ العمل قد يكرر بنفسه للدلالة على جزائه حين يكون العمل شرا أو عدوانًا.

وهذه الملاحظة يمكن أن يضم إليها التعبير القرآني ﴿النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن﴾[2] التي تتضمن صيغة لغوية أخرى لمعنى الجزاء بالمثل، داخلة في القاعدة اللغوية نفسها: تكرار اللفظ للدلالة على الجزاء.

وهذا تأثير للمفهوم الديني على الصياغة اللغوية تركيبًا ودلالةً، وربما لم يوجد هذا الأسلوب قبل وجود القاعدة الدينية (المجازاة بالمثل) في البيئة العربية، أي بظهور الإسلام [3].

---

(١) البقرة: ٢٦١.　　(٢) المائدة: ٤٥.

(٣) الملاحظة الأخيرة ملاحظة ظنية تحتاج إلى استقصاء في بحث آخر.